# الرّحلة في الإسلام دوافعها وأهدافها

**منصورية بن عبد الله ثالث**
**طالبة في الدكتوراه / جامعة تلمسان**

**تمهيد**

عرف الإنسان الرّحلة والتّرحال منذ أن خلق الله سيّدنا آدم عليه السّلام بعدما أمره بالهبوط إلى الأرض هو وأمّنا حواء، ولم ينزلهما سبحانه وتعالى في مكان واحد بل جعل أبانا آدم في مكان وأمّنا حواء في مكان آخر وذلك كي يسعيا للبحث عن بعضهما،<< فالشّعوب لم تخلق في موضع واحد لكن الله فرّقها وبثّ بينها المسافات، وغرس في الجميع في الوقت ذاته فطرة السّعي للتّعارف واللّقاء>>1. ويتجلى ذلك في قوله سبحانه وتبارك: ﴿"يَا أيُّها النّاس إنّا خلقْناكُم مِنْ ذكرٍ وأُنْثى وجَعلناكُم شُعُوبًا وقبائلَ لتَعارفُوا إنَّ أكْرَمَكُم عند الله أتْقَاكُم إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾2.

و الرّحلة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان هذا الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار3، ومنه قوله تعالى: ﴿ فقالُوا ربَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنا.. ﴾4، ورحل << عن البلد رحيلا ويتعدّى بالتّضعيف فيقال: رحّلته وترحّلت عن القوم وارتحلت والرّحلة بالكسر والضّمّ لغة اسم من الارتحال. وقال أبو زيد الرّحلة بالكسر اسم من الارتحال وبالضّمّ الشّيء الّذي يرتحل إليه، يقال قربت رحلتنا بالكسر وأتت رحلتنا بالضّمّ أي القصد الّذي يقصد>>5، أمّا << المِسْفِرُ:كثير الأسفار والقويّ على السّفر>>6.

ففي القديم كان الإنسان يسعى من مكان إلى آخر بحثا عن الماء و الكلأ، وخلال تلك الرّحلات كان يكتشف ما حوله فتأثّر بالطبيعة وبدأ يصف صحاريها، جبالها ووديانها وقد انعكس ذلك على الأدب بصفة عامّة والشّعر بصفة خاصّة قال سبحانه وتعالى: ﴿ هُو الَّذي جَعَل لَكُم الأرْضَ ذَلُولاً فامْشُوا فِي مَنَاكِبِها وَكُلُوا مِن رِزْقِه وإلَيْه النُّشُور﴾7.

**أولا– الرحلة**

1/ مفهوم الرّحلة في القرآن الكريم والسّنّة النبويّة الشريفة: إنّ الانسان في حياته دائم الترحال، وتبدأ هذه الرحلة وهو في بطن أمّه لينتقل إلى مرحلة ما بعد الولادة لتبدأ رحلته الحقيقية والعمليّة، إلى أن يفارق الحياة ليوارى التراب، وتدعى تلك المرحلة التي يقضيها في القبر إلى يوم البعث بالبرزخ. والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، أمّا في الشّرع: << الدّار الّتي تعقب الموت إلى يوم البعث >>8، مصداقا لقوله تقدست أسماؤهم: ﴿ حتَّى إذا جاءَ أَحَدَهُم المِوْتُ قَالَ ربِّ ارْجِعُونِ*لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فيما تَرَكْتُ كَلاّ إنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُها وَمِنْ وَرائِهِم إلى يوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ 9، وآخر رحلاته صعوده إلى السّماء ليلقى عقابه إذا كان من المقصّرين، جهنّم، أو لينال جزاءه إذا كان من المحسنين، الجنّة، وتلك هي رحلة الإنسان الّتي سطّرها له الخالق جلّ وعلا مصداقا لقوله تعالى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيها نُعِيدُكُمْ ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرى ﴾10

MOKARABAT

**2/ دعوة الإسلام إلى الرحلة:**

ازدادت رغبة الإنسان إلى الرحلة بعد ظهور الإسلام وانتشاره، وهذا الأخير لم يدع وسيلة من الوسائل الّتي تفيد الإنسان إلاّ وحثّه على فعلها، ومن ذلك الرّحلة سواء أكانت لطلب للعلم أو الهجرة بالدّين من أرض الشّرك إلى أرض الإسلام أو الحجّ أو التّجارة.

وفي بداية الحديث عن الرّحلة، لا بدّ من التّطرق إلى أولى الرّحلات الثّابتة لدينا والمستقاة من أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية وهو القرآن الكريم، الّذي حفل بالعديد من الأمثلة لكلّ نوع منها على الرّغم من عدم ورود هذه اللّفظة إلا مرّة واحدة فقط ، وذلك في سورة قريش11، قال سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ﴾12. ويُقصد بإيلافهم: إِلْفُهُم الخروج إلى الشّام في تجارتهم13، وقد أُفردت هذه السّورة بكاملها للحديث عن الرحلة وهي تعرف أيضا برحلة قريش التّجارية. فكما هو معلوم أنّ أهل مكّة المكرّمة اتّجهت أنظارهم إلى التّجارة بحكم موقع مكّة (بواد غير ذي زرع) كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السّلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾14، فكانوا يرحلون رحلتين في السّنة، رحلة في الشّتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى بلاد الشام. وهما رحلتان تجاريتان يُشترى فيهما ويباع إلى أن أصبحت مكّة في ذلك العهد مركزا ماليّا خطيرا في الحجاز وسوقا لتبادل السّلع، وكانت تصدّر الفائض الّذي كانت تستورده من الشّام إلى اليمن وكذا إلى شبه الجزيرة العربية الجنوبية والسّواحل الإفريقية المقابلة، وكانت القافلة الواحدة تضمّ أكثر من ألف بعير، يشارك فيها كل من شاء ممن له المال من أهل مكة لأجل الرّبح والكسب15 << وكانت قوافل قريش آمنة مطمئنّة، لا يتعرّض لهم أحد بسوء،لأنّهم جيران بيت الله،وسكّان حرمه>>16 فكانوا يرجعون آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند النّاس، فمن عرفهم احترمهم، ومن سافر معهم أمن بهم17. وقد تنوّعت الرّحلات بتعدّد الأهداف، ومن أشهر هذه الرّحلات:

**& الإسراء والمعراج:**

تعدّ هاتان الرّحلتان من معجزات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم الّتي ذهلت العقول، لأنها رحلة ليست كباقي الرّحلات لما فيها من خوارق خالدة، مليئة بالعبر، أرادها سبحانه وتعالى لرسوله واجتباه بها، فكانت هذه الرّحلة منحة لسيّد الخلق بعد محنة مرّ بها، لأنّ هذه الرّحلة سبقتها مجموعة من الحوادث الّتي تخرّ لها الجبال، إلاّ أنّ الرسول استطاع تجاوزها لإيمانه القوي برسالته الّتي كلّفه الله بتبليغها إلى البشريّة ونذكر من هذه الحوادث:

– مقاطعة وحصار قريش للرّسول وللمسلمين، ومنع الطّعام والشّراب عليهم مدّة ثلاث سنوات، ولولا وجود أصحاب القلوب الرّحيمة لهلكوا.

– كثرة المحن والأحزان: ففي السّنة نفسها و الشّهر نفسه توفّي أحبّ وأعزّ النّاس، عمّه الّذي كان يحميه ويناصره، وزوجته خديجة ملجأه والمهوّن عليه عند المحن والشّدائد، وسمّي ذاك العام بعام الحزن، قال ابن اسحاق: << ثمّ إنّ خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المصائبُ بهُلك خديجة، وكانت له وَزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وَبِهُلْكِ عمّه أبي طالب، وكان له عضدا وحِرْزاً في أمره، ومنعة وناصرا على قومه >>18.



MOKARABAT

والإسراء << رحلة أرضية مبدؤها المسجد الحرام بمكّة المكرّمة ومنتهاها المسجد الأقصى بالقدس الشّريف>>19.
ويتجلّى ذلك في قوله جلّ وعلا:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المِسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المِسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾20.
وسريت اللّيل وسريت به سريا والاسم السّراية إذا قطعته بالسّير، قال أبو زيد ويكون السّرى أوّل اللّيل وأوسطه وآخره21. ويقال إنّ الإسراء وقع بعد شقّ الصّحيفة الّتي نصّت على مقاطعة الرّسول والمسلمين، وقبل بيْعة العقبة وقبل هجرته إلى المدينة، وقد ورد أنّه كان يوم الاثنين ليلة السّابع والعشرين من شهر رجب. ويؤيّد هذا ما رواه ابن أبي شيبة عن جابر وابن عبّاس رضي الله عنهما قالا: << وُلد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الاثنين وفيه بُعث وفيه عرّج إلى السّماء وفيه مات>>22.
والإسراء هو من السّير برسول الله من المسجد الحرام بمكّة إلى المسجد الأقصى ليلا ببيت المقدس كما سبق وأن ذكرنا، وهنا تكمن قدرة الله سبحانه وتعالى،لأنّ الغير كان يقطع تلك المسافة في شهرين ذهابا وإيابا.
وفي تلك اللّيلة أتاه جبريل الأمين ليلا فحمله إلى المسجد الحرام ومنه إلى باب المسجد فأركبه البراق وبدأت الرّحلة، وقيل إنّ النّبيّ كان في المسجد الحرام بين النّائم واليقظان، وجاء جبريل وميكائيل فأيقظاه وشقّا صدره وملآه بالعلم والمعرفة. وقد روى التّرميذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ الرّسول أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرّجا ملجّما. وجاء في وصف البراق، أنّه دابّة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، مضطرب الأذنين إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه، وكان يرجع إلى حاله من استواء قوائمه إذا وصل إلى الأرض المستوية رفقا براكبه وتعظيما وتكريما له23 ،كان يركبها الأنبياء صلوات الله عليهم .
أمّا المعراج فهو الارتقاء بالرسول من المسجد الأقصى إلى السّماوات العلا وإلى سدرة المنتهى عند جنّة المأوى. قال ابن عبّاس والمفسّرون و غيرهم:<< سمّيت سدرة المنتهى لأنّ علم الملائكة ينتهي إليها ولا يجاوزها أحد إلاّ رسول الله، وحكى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّها سمّيت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالىوالمعراج في اللّغة: اسم آلة بمعنى السّلّم أو المصعد مشتقّ من العروج بمعنى الصّعود، وهو ذهاب في صعود، وسمّيت ليلة المعراج لصعود الدّعاء فيها24، قال بارك و تعالى: ﴿ والنَّجْمِ إِذَا هَوَى*مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى*إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَ*عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى*ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى*وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى*ثُمَّ دَنَا فَتَدَلّى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى*فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *مَا كَذَّبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى*أَفَتُمَارُونَهُ عَلاَى مَا يَرَى*وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى*عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى*عِنْدَهَا جَنَّةُ المأْوَى*إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى*مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى*لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾.25 يضيف الحافظ رجب البرسي: << ركب البراق واخترق السّبع الطّباق في أقلّ من لمح البصر>>26.

**& الرحلة في طلب العلم:**

حثّنا الله سبحانه وتعالى ورسوله على طلب العلم، فقد ورد ذكره بالقرآن الكريم ثمانين مرّة27، شرط أن يكون هذا العلم جامعا بين العلم والعمل الصّالح. وتكون هذه الرحلة لغرض وهدف معين، إمّا للتفقه في علوم الدين والسّنّة



MOKARABAT

بمجالسة كبار العلماء ولقاء المشايخ أو البحث عن الكتب والتعمق في أمور وعلوم الدنيا، << وكان من معايير الحكم على صاحب العلم عدد من لقي من العلماء وتتلمذ على يدهم >>28. والرّسول صلّى الله عليه وسلّم بدوره حضّ على ذلك، فهو يعتبر أوّل من حمل لواء التّحرير من الجهالة والضّلال29، فجعل طلبه فريضة على كلّ مسلم فقال: "طلب العلم فريضة على كلّ مسلم"، كما حثّ على السّعي لتحصيله، يقول أبو الحسن المسعودي:<< ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، ووزّع بين أيّامه تقاذف الأسفار، واستخراج كلّ دقيق من معدنه، وإثارة كلّ نفيس مكمنه>>30.

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال:<< سَمِعتُ رسول الله صلّ الله عليه وسلّم يقول:"مَنْ سَلكَ طريقاً يبتَغِي فيه علماً سهَّل اللهُ لهُ طَريقاً إلى الجَنَّةِ،وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنِحتَها لِطَالِبِ العِلْمِ رِضىً بِما يَصْنعُ،وإنّ العالِمَ ليستغفر له منْ في السّماواتِ ومنْ في الأرْضِ حتّى الحيتَانُ في الماءِ،وفضْلُ العالِمِ على العَابِدِ كفضِلِ القمرِ على سائرِ الكواكب وإنّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبِياءِ،وإنّ الأنْبيَاء لمْ يُورّثوا ديناراً ولا دِرْهما وإنّما ورّثُوا العِلْمَ.فمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وافرٍ.>>رواه أبو داود التّرميذيّ".31

**& الرّحلة في طلب الحديث:**

ولما كان الحديث النّبويّ هو المصدر الثّاني للإسلام ،فقد أعطاه العلماء غاية اهتمامهم ، وبذلوا كلّ ما في وسعهم وتحمّلوا المشقّة للبحث عن أسانيده بل كانوا يرحلون ويقطعون المسافات البعيدة ويجتازون الفيافي والقفار من أجل إسناد حديث واحد امتثالا لأمر الله تعالى ،وتحقيقا لما حثّ عليه النّبي المسلمين32، فكانوا بذلك يتكبّدون عناء السّفر ويتحمّلون مشقّته طلبا لحديث نبويّ واحد أو التّحقّق من صحّته قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِروا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذَرونَ﴾33.

واعتبر الإمام بن صلاح الرّحلة << منهجا من مناهج التحصيل العلمي فنجده يقول: << وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات الّتي ببلده فليرحل إلى غيره>>34، ويضيف يحي بن معين: << أربعة لا تأنسُ منهم رُشدا:حارس الدّرب ومنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث>>35.

**& رحلة سيّدنا موسى مع العبد الصّالح:**

كانت هذه الرّحلة ذات هدف تربوي تعليمي في منهج رباني أراده الله جلّ جلاله لهذه الأمّة، ونجد تفاصيل هذه القصّة في كتاب الله وذلك في سورة "الكهف" وما كان بينه وبين العبد الصّالح من محاورات، فقد كان سيّدنا موسى شغوفا ومحبّا لطلب العلم ومعرفة المزيد بكلّ ما يتعلّق بأسرار الدّنيا.

وما يلفت النظر في هذه القصّة الأسلوب الوديع الّذي يعبّر عن روح التّواضع للعلم والعُلماء، فإنّ موسى عليه السّلام مع عُلُوّ شأنه في المعارف الإلهية، لم يمنعه ذلك من تحمُّل كلّ تلك المشاق الّتي واجهته في سبيل العلم دون النّظر إلى من يريد التّعلّم منه، وهذا يُرشد إلى أنّ العلم أسمى من المال، ولا ينبغي أن يُتّخذ فقر العلماء مانعا من السّعي إليهم وتزكية النّفس بعلمهم36. كما نجد في هذه القصّة الأدب الرّسالي لما فيه من تعطّش لاكتساب العلم والمعرفة، وبذلك كانت العلاقة بينهما تقوم على الصّحبة والهدف منها السعي نحو المعرفة.

MOKARABAT

فبينما كان سيّدنا موسى عليه السّلام يتأهّب للرّحيل التقى بالعبد الصالح، وقد جعله الله سبحانه وتعالى في طريقه لينتفع من علمه، وكانت هذه الرّحلة طويلة وشاقّة37، وفي هذه الرّحلة وجد نفسه أمام مفاجآت متوالية لم يعلم لها سرّا و كان ذلك مجال من مجالات صبر التلميذ مع أستاذه والتزامه بما عقده له من شرط، وإن حجز عنه بعض المعلومات والحقائق 38. ويظهر ذلك في قوله سبحانه وتعالى:﴿ وإِذْ قَال مُوسَى لفتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حتّى أَبْلُغَ مجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي حُقُبًا * فلَمّا بلَغَا مجْمَعَ بيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ سرَبًا *فلَمّا جاوزَا قال لِفتَاهُ آتِنا غذَاءَنا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سفَرِنَا هذا نَصَبًا*قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنّي نسِيتُ الحُوتَ وما أنسانِيهُ إلّا الشّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ واتّخذَ سبيلَهُ في البَحْرِ عَجَبًا *قال ذلك ما كُنّا نَبْغِ فارْتَدّا على آثارِهما قصَصًا * فوجَدَاعبدًا من عِبَادِنا آتيْناهُ رحمةً من عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قال لَهُ مُوسَى هلْ أَتَّبِعُكَ على أَنْ تُعلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشدًا*قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ مَعِيَ صَبْرًا *وَكَيْفَ تَصْبِرُ علَى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا *قالَ سَتَجِدُني إنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً ولا أَعْصي لكَ أَمْراً *قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تَسْأَلْني عَنْ شَيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً* ﴾39. وعلى هذا التعاقد ركبا السفينة وبدأت الرّحلة.

**& الرحلة الحجازية أو الحجية:**

قال الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾40. وهي رحلة تعبدية وهو خروج فيه امتثال لإرادة الله، لكنه خروج مشروط بالقدرة مبني على الاستطاعة المادية والصّحيّة و الاجتماعية، وقد التزمت هذه الرحلة بمواقيت وأيام معدودات من شهر ذي الحجة من كل عام طلبا للمغفرة وتطهيرا للنّفس من الذّنوب. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:<< لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد:المسجد الحرام، والمسجد الاقصى، ومسجدي هذا >> .41

وقصد البقاع المقدّسة هو أسمى هدف وأشرف غاية ينشدها الرّحالة على مرّ العصور، وتعدّ مكّة المكرّمة من أهمّ المراكز وُفودا نظرا لمكانتها الدّينيّة ولدورها الثّقافي، كما تعد صّلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية و لا زالت لأنّها استغلّت لطلب العلم ولقاء العلماء والأخذ عنهم42وكان كلّما زاد عدد العلماء والفقهاء في القافلة، زاد التّرحيب بهم قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: << شُدُّوا الرِّحال في الحجّ فإنّهُ أَحَدُ الجِهادَيْنِ>>43.

**& الرحلة للجهاد في سبيل الله ولنصرة الدين الإسلامي:**

تعدّ رحلة عسكرية للدفاع عن الدّين الإسلامي في سبيل إعلاء كلمة الحقّ.<< وكان لهذا النوع من الرّحلات الدور الكبير في الفتوحات الإسلامي في حالة كان العكس فذلك يعدّ عدوانا. وهذا ما يرفضه ويتبرأ منه ديننا وعقيدتنا الإسلامية، فحرّرت الناس من الكفر وذلك بتصدّيها لعدوان الكفر و عناده، وأشاعت الهيبة والأمن والأمان لحساب الإسلام والمسلمين في العالم الاسلامي وفيما وراء العالم الإسلامي44.

**& الرّحلة بقصد العبرة "قصّة ذي القرنين":**

ذو القرنين أعظم رجل في تاريخ البشرية، ،قيل أنّه طاف الأرض ليرى عجائبها وقيل لينفّذ الحقّ والعدل فيها45.كان يمتلك من العلم الكثير كما كان له قوّة عسكريّة وماليّة وروحيّة وإيمانيّة ودافعيّة لم تتوفّر في قائد ولا في أيّ شخص غيره، فلم تكن لديه خوارق ، بل أعطاه سبحانه وتعالى مفاتيح العلوم ولم يكتف بالأسباب الّتي منحها له ولم



MOKARABAT

يتواكل،فبطموحه وصل إلى مالم يستطع غيره الوصول إليه ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ ويَسْأَلونكَ عَنْ ذي القَرْنيْنِ قُلْ سَأَتْلوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا*إنّا مكّنَّا في الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا*فَأَتْبَعَ سَبَبًا* حَتّى إذا بلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وجَدَها تغْرُبُ في عيْنٍ حمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا ياذَا القَرْنَيْنِ إمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا *قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا*وَأَمَّا منْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا *ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا*حَتّى إذا بلَغَ مَطْلِعَ الشّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَل لَهُمْ مِنءِ دُونِهَا سِتْرًا*كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا*حَتّى إذَا بَلَغَ بيْنَ السَّدّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْمًا لا يَكَادونَ يَفْقَهونَ قَوْلاً*قَالُوا ياذَا القَرْنَيْنِ إنّ يأجوج وَمَأجوجَ مُفْسِدونَ في الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾46. فمن هذه الآيات الكريمات نستشفّ الرّحلات الثّلاث الّتي قام بها ذو القرنين: -وما يفصل بين رحلاته عبارة وأتبع سببا- وهي كالآتي:

الرحلة الأولى وهي رحلة إصلاح :وهي قصّة اجتماعيّة استطاع أن يُقيم العدل في بلد كثر فيه الظّلم والفساد نتيجة انتهاك حقوق الغير، فوضع دستورا كان بمثابة الحكم الصّالح، ينُصّ فيه على محاسبة ومعاقبة كلّ من تسوّل له نفسه فعل المحرّمات أو الإفساد وممارسة الظّلم على الغير، وبذلك استطاع أن يحقّق العدل والمساواة .

الرحلة الثّانية: تحمل شعار التنمية وعدم اليأس قصد فيها بلدا عاش سكّانه مأساة طبيعيّة، كما كانوا يعيشون في فقر مدقع نتيجة استسلامهم لبيئة افتقرت لأدنى شروط الحياة، وبقدومه حلّ الخير على بلدهم بعد شقّه للآبار،وبذلك كان سببا في بعث الحياة بتلك البلدة.

الرّحلة الثالثة: حقّق فيها أكبر الإنجازات وذلك الإنجاز كان له الفضل على البشريّة كلّها،وجد فيها قوما يعيشون في رعب وخوف كبير من قبيلتي يأجوج ومأجوج47، وهم قوم عثوا في الأرض فسادا، فأقام لهم سدّا يقيهم ويحميهم من جبروتهم. وبذلك استطاع أن يحقّق أهدافه دون إراقة الدّماء.

& السفر للتجارة :

وهي رحلة برية أو بحرية، لها أهداف معينة و دور وظيفي حيوي لأنّها تؤدّي دور الوسيط بين الدول.

& السياحة أو الطّواف:

وهو انطلاق متحرر من أيّ التزام ومتجرد من كل غرض،غير غرض الاستمتاع بالرحلة ذاتها، وكانت هذه الرّحلات وما تزال وسيلة من أهمّ الوسائل الّتي تسلّي المحزون، وتفرّج عن المكروب كما يقرّر ذلك علماء النّفس48 .

**& السفارة (التمثيل الدبلوماسي):**

لما جاء الإسلام لم يغفل << السّفارة بل اهتم بها، ووضع لها الضوابط المهنية والأخلاقية، شأنه في جميع مجالات الحياة، فقد سما الإسلام بالسفارة، حيث نقلها من الأغراض المعاشية الدنيوية إلى درجات الأعمال الدينية الهادفة >>49، وقد أخذت السفارة في الإسلام الصور التالية:

التوسط في فك الخصومات والنزاعات:



MOKARABAT

هي رحلة مسؤولية وتكليف ووضع التعليمات موضع التنفيذ من أجل ترسيخ مكانة دولة من الدول كرحلة صلح الحديبية، تمثلها مجموعة من السّفراء التابعين لوزارة الشؤون الخارجية،توفدهم هذه الأخيرة ليكونوا همزة وصل أو يلعبوا دور الوسيط بين دولتهم والدول الأخرى لنقل وجهات نظر حول مختلف القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وهذا النظام، نظام السفارة، عرف منذ القدم وقد مثله أغرب سفير "الهدهد" ويتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لاَ أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ*لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ*فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ *إِنِّي وَجَدتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ*وَجَدْتُّها وَقَوْمَها يَسْجُدُون للشّمْسِ مِنْ دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ*أَلاَّ يَسْجُدُوا لله الَّذي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَات وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ*اللهُ لاَ إِلاَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ*قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ*اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ*قَالَتْ يَاأَيُّهَا المَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ *إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾50.

**2- تبليغ الدعوة إلى أقطار العالم:**

إذ يمكننا أن نعدّ الرسل الذين بعثهم رسول الله بالكتب إلى حكام العالم في وقته سفراء أو مبعوثين، قامو بتبليغ الدعوة الإسلامية لتتأكد بذلك عالمية الدعوة الإسلامية ويتحقق قوله تعالى: ﴿ ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً للنَّاسِ بَشِيرًا ونذِيرًا ولكنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمون﴾51 .وقال أيضا: ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً للعالَمِينَ*قُلْ إِنَّما يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَاهُكُم إِلاهٌوَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾52، وقال كذلك: ﴿ قُل يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسوُلُ الله إِلَيْكُمْ جِمِيعًا الَّذِي لهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلاَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذي يُؤْمِنُ بالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعوهُ لَعَلّكُم تَهْتَدونَ﴾53.

وللسّفر فوائد كما قال الشّافعي:<< إنّ من يسافر يرى الجديد الممتع ،فتسعد نفسه ويزول همّه،وقد رأينا كيف يعود المسافرون بما يتيح لهم حياة سعيدة ،ومنهم من حصل جوانب من العلم النّافع والخبرة المثمرة، إلى جانب ما يحصل عليه المسافر من آداب المعاملة واللّقاء والمعاشرة ، ولا يخلو الأمر من اكتساب الصداقات ذات فضل ومجد فنجده يقول عن فوائد السّفر:

وسافر ففي الأسفار خمسُ فوائد: تغرّبْ عن الأوطان في طلب العلا

وعلْمٌ وآدابٌ وصُحبةُ ماجدِ تَفرُّجُ هَمٍّ واكتسابُ معيشةٍ

وَقَطعُ الفافي وارتكبُ الشّدائدِ فإن قيلَ:في الأسفار ذلٌّ ومحنَةٌ

بدار الهوان بين واش وحاسِدِ >>54. فموت الفتى خيرٌ له من قيامِه



MOKARABAT

وقال أيضا55:

مِنْ راحَةٍ فَدَع الأَوْطانَ واغْتَرِبِ ... مافي المقام لذِي عَقْلٍ وَذِي أدَبِ

وانصَبْ فَإنَّ لَذيذَ العَيْشِ في النَّصَبِ ... سافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفارِقُه

إنْ ساحَ طابَ وَإنْ لَمْ يَجْرِ لمْ يَطِبِ ... إنّ رأَيْتُ وَقُوفَ الماءِ يُفْسِدُهُ

والسّهْمُ لولا فِراقُ القوْسِ لمْ يُصِبِ ... والأُسْدُ لولا فِراقُ الأرْضِ ما افتَرَسَتْ

لَمَلّها النَّاسُ مِنْ عُجُمٍ وَمِن عَرَبِ ... والشّمسُ لوْ وَقَفَتْ في الفُلْكِ دائِمَةً

والعودُ في أرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَطَبِ ... والتِّبْرُ كالتُّرْبِ مُلْقى في أَمَاكِنِهِ

وَإنْ تَغرّبَ ذاكَ عزَّ كالذّهبِ ... فَإنْ تَغرّبَ هذا عزّ مَطْلَبُهُ

إلى جانب القيمة التّرفيهيّة للرّحلة فهي تعتبر مصدرا هامّا للدّراسات التّاريخية المقارنة خاصّة بالنّسبة للعصور الوسطى، فقد احتوت هذه الرّحلات على إشارات جغرافية من وصف للبلدان وطبيعة مناخها وسهولها وصحاريها وأنهارها ومسالكها. كما أنّها تحمل معلومات دقيقة عن أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسّياسية، ومن خلال التّأريخ لذلك ولحضارتها وعاداتها وتقاليدها أصبحت >> مرجعا أساسيّا في دراسة جغرافية تلك المناطق وتاريخها. أمّا قيمتها الأدبية فتتجلّى فيما رواه الرّحّالة في أحاديثهم ومذكّراتهم ومؤلّفاتهم ممّا جعلها تأخذ سبيلها إلى عالم الأدب بوصفها نموذجا أدبيّا تتجلّى في القدرة على الوصف الدّقيق والتّعبير الفنيّ الصّادق القائم على أسلوب جميل يعكس لنا قوّة البلاغة في العصر الّذي كتبت فيه>>56.

MOKARABAT

## الإحالات والمصادر و الإحالات والهوامش والمراجع:

[1] – فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1 ، 2002 م، ص 22.

[2]– من سورة الحجرات: الآية /13.

[3]– عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام:أنواعها وآدابها ، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 1416،1هـ-1996م ، ص15.

[4]– من سورة سبأ : الآية/19.

[5]– أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيومي، من كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرّافعي، ج 1، المطبعة الميمنية، مصر، ص108.

[6]– مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، المجلّد2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ،بيروت، د.ط، د.ت، ص49.

[7]– من سورة الملك: الآية /15.

[8]– أبو خالد ناصر بن سعيد بن سيف السّيف، الرّحلة إلى الدّار الآخرة، دار بن حزمة، د.ط، 1429هـ، ص 16.

[9]– من سورة المؤمنون: الآيتان/99-100.

[10]– من سورة طه: الآية /55

[11]– ينظر: عواطف محمد يوسف نواب، الرّحلات المغربية والأندلسية:مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية 1996م ، ص ص 29-30.

[12]– من سورة قريش:الآيتان/1-2.

[13]–أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ج1، مطبعة حجازي: القاهرة، د.ط،1937 م، ص57.

[14]– من سورة إبراهيم :الآية/37.

[15]– جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 7 ، ساعدت على طبعه جامعة بغداد، ط 2 ،1993م، ص ص 290-291.

[16]– شوقي أبو خليل، أطلس القرآن،أماكن،أقوام،أعلام،دار الفكر المعاصر، ط2000،1م،ص157.

[17]–أبو الفداءإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم :تحقيق:سامي بن محمد السّلامة، ج 8، دار طيبة للنّشر والتوزيع ط 1418،1هـ-1997م، ص491.

[18]– ابن هشام، السيرة النبوية: القسم الأول،الجزأين:الأول والثّاني، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السّقّا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة: بيروت، لبنان ، د.ط، د.ت، ص416.

[19]– محمد محمود صلاح (أبو الدرداء)، الفيوض الرّبانية في الرّحلة النّورانية"معجزة الإسراء والمعراج"، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط 1990،1هـ-1410م ، ص21.

[20]– من سو رة الإسراء:الآية/1 .

[21]– ينظر: أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيومي، من كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرّافعي،ج 1، المطبعة الميمنية، د.ط، د.ت، ص132.

[22]– الفيوض الرّبّانية في الرحلة النورانية...، ص56.

[23]– نفسه: ص ص56-57.

[24]– ينظر: الرّاغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق:نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، د.ط، 1972م، ص341.

[25]– من سورة النّجم الآيات/ 1-18.

[26]–علي العسيلي العاملي، الإسراء والمعراج:نظرة عامة دراسة وتحليل، الدار الإسلامية، ط 2 ،1988 ، ص37.

[27]– محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار ومطابع الشعب، د.ط، د.ت، ص 478.

[28]– محمد محمود الصبان، رحلة ابن بطوطة، مكتبة الأسرة، د.ط، 1994م ، ص8.

[29]– محمد عجاج الخطيب، السّنة قبل التّدوين، ص42.

[30]– أدب الرحلة في التراث العربي..، ص 21.

[31]– الإمام النّووي الدّمشقي، رياض الصّالحين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: الجزائر، د.ط،1988 ، ص 526.

[32]– ينظر:أبوبكرأحمد بن علي الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1975م ، ص 89.

[33]– من سورة التّوبة: الآية /122.

MOKARABAT

[34]-:الرحلة في طلب الحديث..، ص17.

[35] نفسه.

[36]- ينظر: محمد شلتوت، إلى القرآن، شركة الشّهاب :الجزائر، د.ط، د.ت، ص81.

[37]- ينظر:القصص القرآني:إيحاؤه ونفحاته شركة شهاب للنشروالتوزيع: الجزائر، د.ط،1989، ص317.

[38]- ينظر: د.يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، مكتبة الشركة الجزائرية ، مرازقة بودواو،دار البعث، قسنطينة، د.ط،م1988م ، ص57.

[39]- من سورة الكهف :الآيات/60-85. و صبحي عبد الرّؤوف عَصَر :المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، دار الفضيلة للنّشر والتوزيع،د.ط،1990م،ص 377.

[40]- من سورة الحجّ: الآية /27 .

[41]-الرّحلة في الإسلام..، ص25.

[42]-ينظر: الجوهرة بنت عبد الرحمن المنيع، الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية ( 1338هـ-1373هـ/1920م-1953م)، مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1431هـ،الرياض، ص 46.

[43]- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيّامه،ج 1، ط1،المطبعة السّلفيّة ومكتبتها، مصر،1400هـ، ص 470.

41- ينظر:صلاح الدين علي الشامي، الرّحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدّراسة الميدانية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 2،1999 م، ص 114.

[45]- ينظر: الرحلة في الإسلام..، ص26.

[46]- من سورة الكهف:الآيات/83-94.

[47] يأجوج:من تأجّجت النّار ، تفوروتحرق. مأجوج:الطّوفان يأخذ كلّما أمامه.

[48]- ينظر: رابح بونار،عبد الرحمن شاهين، محمد يونس، عبد الفتاح حجازي:المختار في الأدب والنصوص والبلاغة والتراجم الأدبية:منشورات المعهد التربوي الوطني،الجزائر، د.ط، د.ت، ص67.

[49]- الرّحلة في الإسلام....ص30.

[50]- من سورة النّمل: الآيات/20-31.

[51]- من سورة سبأ:الآية /28.

[52]- من سورة الأنبياء: الآيتان/107-108.

[53]- من سورة الأعراف:الآية/158

[54]- محمد إبراهيم سليم، ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النّفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر، د.ط،د.ت، ص ص 62-61.

[55]- عبد الرحمن المصطاوي، ديوان الإمام الشافعي، دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت،ط 3،2005 م، ص ص27 - 28.

[56]- عبد الرحمن شلش، "أدب الرّحلات عند العرب"، مجلّة الفيصل(السعودية): العدد9 ، دار الفيصل الثقافية، فبراير مارس 1978م ، ص121.

MOKARABAT